أُصُولُ النَّقْدِ الأَدَبِيِّ

تأليفُ

د. أحمد الشَّايِب

هذا كتاب من الكتب الـمؤسسة لدراسة النقـد الأدبي في الجامعات الـمصرية والعربية. وحيث يتجلى الأدب فنا رفيعا - يتقدم النقد الأدبي بمعناه الخاص مـحاولا بيان ما في هذا الفن من مزايا قويمة أو هنات ذميمة ، متبينا فيها آثار الزمان والمكان والجنس والشخصية، مفيضا منـها علـى الأدب والأدباء والقـراء ، رشادا وتقويمـا ومادة للعقـل والشعور كمـا بيـنا ذلك في المنهج النقدي.

وقد كان النقد الأدبي ثمرة للأدب ذاته ، وصداه التـردد في نفوس القراء، فبكر إلى الـحياة مصليا ، وتعقب المنشئين مفسرا رفيقا أو ناعيا قاسيا ، وتأثر هو أيضا أثناء تاريـخه الطويل بعوامـل وقفت به في أغلب نواحيـه، عند عنـاصر الأدب مفردة ، فتـناولها مسرعا غير مستقص ولا عميق ، ومرتأأجلا لايردها إلى مصادرها التاريـخية أو النفسـية الشـاملة ، حتى صار من الواجب على المعاصرين أن يعنوا بـهذا الـجانب الدراسي عـسى أن يضيفوا إلـى التـراث النقـدي ما يـهذبه أو يكمـله .

وهذا ما دعانـي إلى نشر هذه الفصول في بيـان طبيعة الأدب وعناصره و بعض مقايـسه النقدية ، لا أدعي بـها فتحا جديدا ، ولاسدا لنقص قديم ، وكل ما أرجوه أمران : الأول: أنها عون على فهم هذه القضايا والآراء النقديـة الواردة في كتب النقـد العربي فهمـا علميا قائمـا على الأصـول النفسـية والفنيـة الـمنـظمـة .

الثاني: أنـها دعوة إلى الباحثين لتناول النقـد الفـني بالدرس والتمـحيص بجانب النقـد التاريخـي والشخصي ، فإن كان فيها حق فذلك ما حاولت ، وإن كان فيـها قصور فـهو عنـدي سبيـل إلى الحق ودعوة أخرى إلى الصواب حققه المستمعون إلى دعوتى و ندائي.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة العاشرة	٧
مقدمة الطبعة الأولى	٩
الباب الأول: في الأدب	**١٣**
الفصل الأول: ما الأدب؟	١٥
الفصل الثاني: عناصر الأدب	٤٥
الفصل الثالث: أقسام الأدب	٥٣
الفصل الرابع: علوم الأدب	٦١
الفصل الخامس: الأدب بين العلم والفن	٧١
الفصل السادس: وظيفة الأدب في الحياة	٨٩
الفصل السابع: العوامل المؤثرة في حياة الأدب	٩٥
الفصل الثامن: كيف ندرس الأدب؟	١٠٥
الباب الثاني: في التعريف بالنقد الأدبي	**١١٩**
الفصل الأول: ما النقد الأدبي؟	١٢١
الفصل الثاني: في الذوق الأدبي	١٣٣
الفصل الثالث: في النقد والناقد	١٥٧
الفصل الرابع: النقد الأدبي بين العلم والفن	١٦٧
الفصل الخامس: وظيفة النقد الأدبي	١٧٩
الباب الثالث: بعض مقاييس النقد الأدبي	**١٨٧**
تمهيد	١٨٩

عينة للقراءة

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول: العاطفة EMOTION ١٩٣
الفصل الثاني: الخيال IMAGINATION ٢٢١
الفصل الثالث: الحقيقة fact ٢٣٥
الفصل الرابع: الصورة FORM ٢٥٣
الباب الرابع: في السرقات الأدبية **٢٦٩**
الباب الخامس: في الموازنة الأدبية **٢٨٩**
الباب السادس: في الشعر **٣٠٥**
الفصل الأول: ما الشعر؟ ٣٠٧
الفصل الثاني: في أقسام الشعر ٣١٩
الفصل الثالث: في أوزان الشعر وقوافيه ٣٢٧
الباب السابع: في النثر **٣٣٧**
الفصل الأول: التعريف بالنثر وأقسامه ٣٣٩
الفصل الثاني: في القصص النثري PROSEFICTION ٣٤٣
خاتمة ٣٥٥

عينة للقراءة

مقدمة الطبعة العاشرة

هذه هي الطبعة العاشرة لهذا الكتاب، أقدمها للقراء، بعد ما أعدت النظر في فصوله وأضفت إليها أشياء لابد منها، ونبهت على مباحث ومراجع لمن يريد التوسع والاستقصاء، وما أكثر مباحث النقد الأدبي، وما أحوجها إلى كتب عدة تتعاون عليها، حتى تستوعبها، وتوضح جوانبها، وتبرزها في شكل تطبيقي أيضا. لذلك دعوت، ولا زلت أدعو الباحثين، أن يعنوا بهذا الدرس الأدبي إذ لا يمكن فقه الأدب وتأريخه من دون نقده وتحليله.

ولعلي مستطيع يوما أن أقدم للقراء خلاصة لتاريخ النقد العربي، وكتابا في النقد التطبيقي، فإن استطعت ذلك، كان فضلا من الله عظيما

أحمد الشايب

عينة للقراءة

مقدمة الطبعة الأولى

أما بعد فإن أهم ما تمتاز به الدراسات الأدبية في عصرنا الحديث، إنما هو تعدد جوانبها وتعمقها، فلم يعد الدارس يكتفي بالمعاني اللغوية، والنكت النحوية، والصور البيانية، للألفاظ والتراكيب، لكنه جاوز ذلك إلى منهج عريض عميق، يعتبر الأدب ثمرة طبيعية لشيئين: البيئة والأديب. ويريد بالبيئة أعم ما تحمل من معنى، لتشمل جميع المؤثرات الطبيعية، والصناعية، والسياسية، والاجتماعية، والعلمية، والفنية التي توافرت لشعب ما في عصر من العصور فكانت عوامله الأدبية، وتربته الصالحة لنضج الأدب وغرس الأدباء.

لذلك كان الدارس مضطرا أمام هذا القانون أن يلم بعناصر البيئة الأدبية أولا، يتخذ منها هدى ونورا، يكشف له عن كثير من موضوعات الأدب وفنونه، وعناصره. ويشرح له ما لزم الأدب، أو طرأ عليه، من أطوار ومزايا أشرنا إليها في الكلام على المنهج التاريخي. كذلك كان على الدارس أن يلم بالأديب المنشيء ثانيا، فيظهر على سيرته ومقوماته، التي تتقدم به خطوة أخرى نحو الأدب، فتعلل أكثر خواصه اللفظية والمعنوية، مادام الأديب هو المصدر المباشر لآثاره شعرا ونثرا كما ذكرنا ذلك في المنهج الشخصي. فإذا وصل إلى الأدب ذاته واجه فيه ثمرة هذين الشيئين المتفاعلين، وربما ظفر فيه بألوان من القوة تسمو على التفسير، وتتعالى على القوانين، وتسمح للذوق أن يدركها من دون أن تبيح للعقل تحليلها وهتك أسرارها.

وهنا -حيث يتجلى الأدب فنا رفيعا- يتقدم النقد الأدبي بمعناه الخاص محاولا بيان ما في هذا الفن من مزايا قويمة أو هنات ذميمة، متبينا فيها آثار الزمان والمكان والجنس والشخصية، مفيضا منها على الأدب والأدباء والقراء، رشادا وتقويما ومادة للعقل والشعور كما بينا ذلك في. المنهج النقدي.

وقد كان النقد الأدبي ثمرة للأدب ذاته، وصداه التردد في نفوس القراء، فبكر إلى الحياة مصليا، وتعقب المنشئين مفسرا رفيقا أو ناعيا قاسيا، وتأثر هو أيضا أثناء تاريخه الطويل بعوامل وقفت به في أغلب نواحيه، عند عناصر الأدب مفردة، فتناولها مسرعا غير مستقص ولا عميق، ومرتجلا لايردها إلى مصادرها التاريخية أو النفسية الشاملة، حتى صار من الواجب على المعاصرين أن يعنوا بهذا الجانب الدراسي عسى أن يضيفوا إلى التراث النقدي ما يهذبه أو يكمله.

وهذا ما دعاني إلى نشر هذه الفصول في بيان طبيعة الأدب وعناصره وبعض مقاييسه النقدية، لا أدعي بها فتحا جديدا، ولاسدا لنقص قديم، وكل ما أرجوه أمران: الأول أنها عون على فهم هذه القضايا والآراء النقدية الواردة في كتب النقد العربي فهما علميا قائما على الأصول النفسية والفنية المنظمة. الثاني أنها دعوة إلى الباحثين لتناول النقد الفني بالدرس والتمحيص بجانب النقد التاريخي والشخصي، فإن كان فيها حق فذلك ما حاولت، وإن كان فيها قصور فهو عندي سبيل إلى الحق ودعوة أخرى إلى الصواب حققه المستمعون إلى دعوتي وندائي

على أن في هذه الفصول بعد ذلك جوانب نقص ربما كنت أعرف الناس بها، وربما كانت متصلة بفن القصة: والأدب المسرحي، ولكن إكمال هذه الأبحاث يعوزه فراغ لما أظفر به وإن كانت لاتحول دون إذاعة ما سواها إلى حين.

وقد حرصت -وأنا ابدأ فصلا دراسيا جديدا بكلية الآداب في مدينة الإسكندرية- أن أجعل من هذه الفصول النقدية ومن فصول البلاغة التي نشرتها في العام الماضي بعنوان (الأسلوب) مقدمة لدرس الأدب العربي، يسترشد بها

عبقرية القراءة

الطلاب حين نحملهم على هذه البحوث الأدبية المختلفة ونطالبهم بالمناهج السديدة فيما يعالجون، وإلا فكيف ننتظر من الطلاب أو الدارسين استقامة مذاهبهم ودقة مباحثهم دون أن نقدم بين أيديهم ما يعينهم في هذا السبيل ويرشدهم إلى الصراط المستقيم

وقد يرى أحد أن الباب الأول طويل الأمد غريب المقام في صدر هذا الكتاب ولكني بررت وجوده بحرصى على بيان طبيعة الأدب وعناصره وما يصله بالعلوم والفنون والحياة إذ كان ذلك مقدمة محتومة للقول في أصول النقد الأدبي والله وحده نسأل العون والتوفيق

رمل الاسكندرية يوم الاحد

أول صفر سنة ١٣٥٩هـ

عاشر مارس سنة ١٩٤٥م

أحمد الشايب

عين للقراءة

الباب الأول

في الأدب

عينة للقراءة

الفصل الأول
ما الأدب؟

١- لعل أول ما يعنينا في فاتحة هذه الفصول إنما هو القول في نشأة هذه الكلمة -أدب- في تاريخ اللغة العربية وبيان المعاني التي تواردت عليها أثناء القرون السالفة حتى اطمأنت إلى هذا الوضع الاصطلاحي الحديث.

وإن نحن وقفنا عند المأثور من النصوص الجاهلية فلن تجد فيها هذه الكلمة حتى يخيل إلى الناظر أن العرب لم يعرفوها في لغتهم القديمة إلى أن نبغت في عصر الأمويين. ولكن ذلك وحده لا ينفي الكلمة عن العصر الجاهلي، إذ كان من المقرر الثابت أن الأدب الجاهلي ضاع منه كثير[١]، وما بقي وصل إلينا بعد عهد طويل مضطرب بالأحداث الدينية والسياسية والاجتماعية، وكان وصوله بطريق الرواية التي اعتمدت على الذاكرة -وهي غير وثيقة الحفظ. فناله من ذلك نقص وتحوير، وصارت نصوصه الباقية لا تنتهي. في رأي المتحرجين، إلى يقين، ولا سيما إذا سمحنا لنظرية الانتحال أن تبسط سلطانها على أكثر الأدب الجاهلي كما يرى ذلك جماعة من المستشرقين وبعض الباحثين من الشرقيين[٢]

(١) ابن سلام: طبقات الشعراء ص١٧ طبعة مصر.

(٢) طه حسين في الأدب الجاهلي ص١١٣ الطبعة الثانية.

خاتمة

عينة للقراءة

١- لما كانت هذه الفصول مقصورة على اصول النقد الفني دون تاريخ النقد، وتتبع أطواره في تاريخ الأدب العربي، كان المامنا بالجانب التاريخي يسيرا، أو وسيلة لملاحظة الأصول الفنية.

وقد رأينا أن هذه المقاييس التي ذكرناها مقاييس عامة تقوم على أصلين من علمى النفس والجمال، وهي بذلك أليق بالنقد الذي لا يمكن أن يكون علميا مطلقا ما دام الذوق حكمه الأخير.

ومتابعة لهذا المنهج رأيت أن أختم هذه الفصول بذكر بعض المقاييس النقدية التي اعتمد عليها أشهر نقادنا السابقين، أمثال الآمدي والجرجاني، حين تناولوا بالنقد الأبيات الشعرية، ووقفوا عند كل جزئية وقفة خاصة بها دون محاولة التعميم، وهذه المقاييس، وإن لم تكن في سعة ما قدمنا في الباب الثالث من هذا الكتاب، تعد أشبه شيء بإرشاد الذين يريدون أن ياخذوا انفسهم بالنقد التطبيقي الجزئي لأبيات الشعر العربي خاصة إذا كان هذا النقد خاضعا لتقاليد، وصور، وعبارات خاصة بالأساليب العربية، لا بأس أن يلم بها القارئ هنا، لعله بعد ذلك ينشط إلى استيعابها وثقافتها في مراجعها الأصلية.

٢- وقبل التقدم إلى ذكر هذه المقاييس العربية بخاصة، نشير إلى ما سبق ذكره من أن هناك نقدا وصفيا أو إيضاحيا يعني ببيان خواص النص الأدبي دون عناية بالحكم عليه وهو نقد يخضع لمثل الموازنة وتبين أوجه الشبه والخلاف بين الآثار الأدبية كما توازن بين البحتري وأبي تمام لتعرف مذهب كل في شعره دون أن تفضل أحدهما على الآخر.

وهناك نقد ترجيحي أو قيمي، ومهمته الحكم على النص الأدبي بالجودة أو الرداءة، ووضعه في درجة خاصة بالنسبة لغيره، فيعد بذلك فاضلا أو مفضولا، ولعل هذا الأخير هو الغالب على النقد العربي القديم. هذا إلى أنه غلب عليه أيضا ذلك النوع الجزئي أو الموضعي الذي يتناول كل شاهد وحده بالنقد والتقدير مع الاعتماد على الذوق المهذب، وإن كان الذوق لا يلزم الآخرين إلا إذا كان معللا، على أن التعليل ليس ممكنا في كل حالة لأن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة، ولا تؤديها الصفة. وهناك ظاهر تحسه النواظر وباطن تحصله الصدور، وأكثر ما تكون تلك الدقائق في مواطن الجمال، فتلك قد تحسها، وأما تعليلهل فعسير الا بالفاظ عامة لا تحدد معنى، ولذلك شاع في النقد هذه الألفاظ التي ينكرها المحدثون كالجزالة والرقة، والانسجام، وحلاوة اللفظ، وكثرة الماء، والرونق، والإعرابه والإبداع، والطرب، والصبوة مما يمكن ردها إلى أصل نفسي هو قوة الانفعال وجماله، وأصل فني هو خلو الشعر مثلا من الصنعة والتكلف.

٣- ومهما يكن فيمكن رد كثير من المقاييس النقدية القديمة إلى الأنواع الآتية:

(١) مقاييس شعرية تقليدية، كما نقد الآمدي أبا تمام بأنه لم يصف المرأة بما درج عليه الشعراء السابقون من ضمور الخصر، وروى الأطراف. وكما يذكر الجرجاني طرق وصف السلاح عند الشعراء الماضيين وعرضهم من ذلك.

(٢) مقاييس لغوية، ويراد بها عدم الدقة في استعمال اللغة، أو الخروج عن نهج الماضين في صوغ العبارات، كما عابوا على أبي تمام قوله: لا أنت أنت

ولا الديار ديار، بحجة أن هذا من أقوال العوام، وقوله:

قد كنت معمور بأحسن ساكن ثاو بأحسن دمنة ورسوم

لأن الدار لاتصبح رسوما وساكنها ثاو فيها.

٣- مقاييس بيانية، تتصل بالاستعارات والتشبهات التي تكون الصور وتبنى الخيال المؤلف. ومقياس الجودة فيها القرب، وعدم الإغراب، وصدق الدلالة، لذلك عابوا على أبي تمام قوله:

لا تسقى ماء اللام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

لجعله للملام ماء، وعابوا على المتنبي قوله:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

بأنه أراد المبالغة في طول الوقوف فبالغ في تقصيره.

٤- مقاييس إنسانية، وهي التي ينتزعها النقاد من طبائع النفوس، .فيقبلون من أقوال الشعراء مايلائمها، ويرفضون ما ينافيها، لذلك عابوا على أبي تمام قوله:

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة فلباه طل الدمع يجرى ووابله

وعلى البحتري قوله:

نصرت لها الشوق اللجوج بأدمع تلاحقن في أعقاب وصل تصر ما

إذ الدمع لا يقوى الشوق بل يشفي منه، كما قال امرؤ القيس:

وإن شفائي عبرة مهراقة

٥- مقاييس عقلية، ومردها الثقافة العامة، والتجارب اليومية، فلما قال أبو تمام:

تعجب أن رأت جسمى نحيفا كأن المجد يدرك بالصراع

عابوه بأن الصراع ليس من النحافة والجسامة في شيء ولو قال كان المجد يدرك بالجسامة لأصاب، وللآمدي رد على هذا النقد يمكن التماسه في كتاب الموازنة.

عينة للقراءة

هذه هي أهم المقاييس النقدية الموضعية القديمة أوجزناها هنا لتكون دليلا لقراء النقد الأدبي القديم، ونرجو أن يوفقنا الله تعالى إلى تفصيل القول في ذلك حين نعرض لتاريخ النقد الأدبي إن قدر لنا ذلك والسلام.

أحمد الشايب

عينة للقراءة